بالتكاثف فهى متكاثفة على وجوه متفاوتة الثانى هى الهواء لرطوبته ومطاوعته للانفعالات ولا تشكك ان الاصل يجب ان
يكون مطاوعا للتغيرات وتحصل من الهواء النار بالحرارة المطلقة فهى هواء لطفه الحرارة والباقيان بالبرودة المكثفة لما هو اى
متكاثف تكاثفا متفاوتا الثالث هى الماء اذ قبوله التخلخل بالحرارة والتكاثف بالبرودة محسوس فحصل من تخلخله الهواء والنار
ومن تكاثفه الارض الرابع هى الارض وحصلت البواقى بالتلطيف الواقع على مراتب مختلفة الخامس هى البخار لتوسطه بين الاربعة
فى اللطافة والكثافة فبازدياد لطافته يصير هواء ونارا وبازدياد كثافته ماء وارضا وقيل ليست واحدة بل لابد من التعدد
فيها لان التركيب فى الكائنات يستدعى تعددا منه تركبها فاستأنف على ثلثة اقوال الاول هما النار والارض لانهما فى غاية الخفة والحرارة والارض
لانها فى غاية الثقل والبرودة والهواء نار مفترة والماء ارض متخلخلة بالمزج مع اجزاء نارية الثانى هما الماء والارض لافتقار الكائنات
الى الرطب للانفعال وحصول الاشكال والى اليابس للحفظ على الاشكال الحاصلة الثالث هما الارض والهواء عمل ذلك فان الهواء
رطب قابل للاشكال بسهولة والارض يابسة حافظة لها فالماء هواء اشتد تكاثفه والنار هواء اشتد حرارته وقيل العناصر
ثلثة هى الارض والماء لما مر من افتقار الكائنات الى رطب ويابس والنار للحرارة المدبرة وقد وقع فى كلام الآمدى الهواء بدل الماء
ولذلك قال فالماء هواء متكاثف وفى كلام بعضهم ان الثلثة هى ما عدا النار وقيل اصول المركبات ليست اربعة او ما دونها على ما مر
بل هى اجسام وفى كلام الآمدى جواهر صلبة غير متجزية لا نهاية لها وقيل اصول المركبات هى السطوح لان التركيب انما يكون بالتلاقى
والتماس واول ما يكون ذلك بين السطوح المستقيمة ولا يكفى فى اثبات كون العناصر اربعة ابطال بعضها اى بعض من الاقوال المخالفة
المنافية له بالحجة بل لابد فى اثباته من ابطال الجميع وهو مما لا سبيل اليه سلمنا بطلان من الاقوال باسرها لكن ليس يلزم من ذلك كونها اربعة
اذ للقايل ان يقول لم قلتم ان الاجسام ليست متجانسة ويكون الاختلاف فيما بينها لا فى الصور المقومة والطبايع الجوهرية بل بسبب
الصفات للفاعل المختار سلمنا انها اربعة لكن لا نم ما ذكر من احوالها بل نقول فلم لا يجوز ان يكون كلها خفيفة طالبة للمحيط او يكون كلها
ثقيلة طالبة للمركز ويكون ما فيها من التفاوت فى الاحياز لتفاوتها فى الثقل والخفة فالاثقل اسبق الى المركز من الثقيل الطالب
له ايضا والاخف اسبق الى المحيط من الخفيف الذى يطلبه الا ترى ان الاجسام الارضية المتشاركة فى اصل الثقل يتفاوت احوالها
بتفاوتها فى مراتب فبعضها يرسب فى الماء الى تحت وبعضها يغوص فيه ولا يرسب وبعضها يطفو عليه ثم نقول بعد تسليم وجود
النار فى الجملة لا نم دليل على وجود كرة النار عند المحيط كما زعمتم واما الشهب فهى استحالات تحدث لبعض الاجسام الى النارية كما عند الايراء والاحراق
لا يقال الشهب دالة على وجوده لانا نقول جاز ان يكون هناك هواء حار يقتضى استحالة الادخنة المرتفعة الى النار فلا يثبت كرتها ولئن
سلم وجود كرة النار فالدليل على ان البسيط منها يصعب تشكله حتى يثبت بتوسط النار وهل الى ذلك طريق الا التجربة وكيف يتصور التجربة
فيها واما افناء فى الرطوبات عن الاجسام فلا يدل على كونها يابسة فى جوهرها لانه افناء للاجزاء المائية التى هى رطوبة بعد البلة ولا دليل
فيه على اليبوسة الطبيعية فان الهواء ايضا يعمل ذلك الافناء مع انه رطب الجوهر فان قلت وذلك اى افناء الهواء للرطوبات عن
الاجسام انما هو لما فيه من اجزاء نارية قلنا فيجب ان لا يكون الهواء البارد فاعلا لذلك اذ لا يتصور فيه الاجزاء النارية مع
انه نفى الرطوبة ويجفف الثوب المبلول وبالجملة فلا يمكن القطع به اى باب افناء الرطوبة عن البلة يدل على يبوستها فى ذاته
لانه موجود بذاتها كما فى الهواء وعليكم الدليل الموجب للقطع به وكيف يقطع به وشعاع الشمس يفعل ذلك مع انه لا يوصف فى نفسه
بحر ولا يبوسة ولا غيرهما من الكيفيات ثم لا نم ان الهواء حار بل هو بارد بطبعه وانما استفيد الحر من اشعة الشمس المنعكسة اليه من الارض
فلذلك كلما كان الهواء ارفع وابعد عن الارض كان اقل حرا لضعف الانعكاس اليه وهكذا كلما ازداد ارتفاعه قل حره وظهر برده حتى يصير الهواء بردا

فى غاية البرودة فلم قلتم ان ذلك البرد الشديد فى الهواء ليس له بالطبع بل بمخالطة الاجزاء الرشية المائية التى عادت الى برودتها
الطبيعية ولم يصل اليها اثر الانعكاس ولا نم ايضا انه رطب فانكم اتفقتم على ان مخالطة الرطب باليابس يحسن استمساكه عن
التشتت والهواء ليس كذلك فان الاجزاء الترابية لا يستمسك بمخالطته ثم لا نم ان طبيعة الماء الجمود ولو كان كذلك كما يفطن اليه بالاتحاد
اخرى من ظاهر فالظاهر عند العاقل انجماده بسبب برد الهواء المجاور له فالبارد بالطبع هو الهواء واما الماء فانه بطبعه لا بارد ولا حار
وكيف تجمعون بين قولكم طبيعته الجمود مع القول برطوبته فان قلتم لا منافاة بين القولين لانه سهل التشكل فى نفسه اذ يكفى فى ذوبانه
الذى يظهر معه السهولة ادنى سبب من الحرارة مثل هذا الجمود لا ينافى الرطوبة الجوهرية قلنا هذا باطل قطعا اذ مع الجمود الذى هو
مقتضى طبعه لا سهولة وذوبانه المستلزم لها مستند الى امر خارج ولئن نزلنا عن هذا المقال قلنا فلم قلتم ان ساير العناصر
كالارض ليس كذلك اى قابلا للذوبان باوفق سبب من الاسباب غاية ما فى الباب ان تلك الاسباب لما قل وقوعها او لم يقع
اصلا لم يقف عليها وعدم الوجدان لا يدل على العدم ومع جاز ان يكون الارض مرطبة المقصد الثانى زعموا ان الارض كرية اما
فى الطول اى فيما بين المشرق والمغرب فلان البلاد المتوافقة فى العرض او التى لا عرض لها كلما كانت الى المغرب كان طلوع الشمس
وساير الكواكب عليها متاخرا بنسبة واحدة وكذا الحال فى الغروب ولا يعقل ذلك التاخر فى الطلوع والغروب بتلك النسبة الا
فى الكرة وانما قلنا بذلك التاخر لانا لما رصدنا خسوفا بعينه فى وقت من الليل وجدناه فى بلاد مثلا اخر الليل ووجدناه فى بلاد
غربية عنها اى عن البلاد الاولى بمسافة معينة هى الف مثل قبله اى قبل اخر الليل بساعة ووجدنا فى بلاد اخرى غربية عنها اى
عن البلاد الثانية بتلك المسافة بعينها قبل الاول بساعتين وقبل الثانى بساعة والحاصل انه يوجد فى من البلاد الاخرى قبل اخر
الليل بساعتين وعلى هذا القياس فعلمنا ان طلوعها اى طلوع الشمس على الغربية متاخر بنسبة واحدة لان الخسوف المعين كان
فى البلاد الاولى عند طلوع الشمس وفى الثانية قبله بساعة وفى الثالثة قبله بساعتين واما فى العرض اى فيما بين الشمال والجنوب
فلان السالك فى الشمال كلما اوغل فيه ازداد القطب ارتفاعا عليه بحسب ايغاله فيه على نسبة واحدة حتى يصير بحيث يراه قريبا
من سمت راسه ولذلك يظهر له الكواكب الشمالية التى كانت مختفية عنه ويخفى عنه الكواكب الجنوبية التى كانت ظاهرة عليه
والسالك الواغل فى الجنوب بالعكس مما ذكر واما فيما بينهما اى بين الطول والعرض فلتركب الامرين فان السالك فيما بين المشرق
والشمال يتقدم عليه الطلوع بمقدار قربه من الشمس ويزداد ارتفاع القطب عليه بمقدار وغوله فى الشمال وقس على هذا احوال
السالك فيما بين المغرب والشمال وحال السالك فى السمتين المقابلين لهما واورد عليهم الاختلاف الذى فى سطحها فاجابوا
عنه بان التضاريس صغيرة على كرة كبيرة فلا يقدح فى اصل الكرية الحسية المعلومة بما ذكر فان اعظم جبل على وجه الارض نسبة
اليها كنسبة سبع عرض شعيرة على كرة قطرها ذراع والصحيح كما مر ان يقال فان جبلا يرتفع نصف فرسخ الى اخره او يحذف لفظ الخمس
والاعتراض على هذا الجواب ان يقال هب ان ما ذكرتم كذلك فما قولكم فيما هو مغمور بالماء اذ لا يتاتى فيه ذلك فان قيل
اذا كان الظاهر كريا فالباقى كذلك لانها طبيعة واحدة قلنا فالمرجع الى البساطة وانقضنا انها الكرة الحقيقية ولا
شك انه يمنعها التضاريس وان لم يظهر تلك التضاريس للحس بسبب كونها فى غاية الصغر واعلم ان ارباب التعاليم يكتفون
بالكرية الحسية فى السطح الظاهر من الارض والماء فلا يتجه عليهم السؤال عن المغمور ولا يليق بهم الجواب بالرجوع الى البساطة
المقصد الثالث قالوا والماء ايضا كرى لوجوه ثلثة الاول ان السائر فى البحر يرى راس الجبل قبل اسفله ثم يظهر
انه يظهر عليه راس الجبل اولا ثم يليه شيئا فشيئا الى اسفله كانه يطلع من الماء متدرجا على نسبة واحدة وما هو الا الستر بحدبة الماء

Copyright King Saud University